

أضواء البيان

@ 128 عيسى ، ولكنه بين ذلك في المائدة ، في قوله تعالى : { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتَيَّ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِدُ الْعَالِيَّ وَالْحَارَّ بِإِذْنِي وَتُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ } وفي آل عمران ، في قوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } إلى قوله { وَمِنَ الصَّالِحِينَ } إلى غير ذلك من الآيات . . 7 ! 7 ! قوله تعالى : { وَإِذْ نَزَّهَ لَعَلَّكُمْ لِّلْإِسْءَاعَةِ فَلَا تَمُتْرُنَّ بِهَا } . التحقيق أن الضمير في قوله : وإنه راجع إلى عيسى لا إلى القرآن ، ولا إلى النبي صلى الله عليه وسلم . .

ومعنى قوله : { لَعَلَّكُمْ لِّلْإِسْءَاعَةِ } على القول الحق الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم ، والسنة المتواترة ، هو أن نزول عيسى في آخر الزمان ، حيا علم للساعة أي علامة لقرب مجيئها لأنه من أشراتها الدالة على قربها . . وإطلاق علم الساعة على نفس عيسى ، جار على أمرين ، كلاهما أسلوب عربي معروف . . أحدهما : أن نزول عيسى المذكور ، لما كان علامة لقربها ، كانت تلك العلامة ، سبباً لعلم قربها ، فأطلق في الآية المسبب وأريد السبب . .

وإطلاق المسبب وإرادة السبب ، أسلوب عربي معروف في القرآن ، وفي كلام العرب . . ومن أمثله في القرآن قوله تعالى : { وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا } . .

فالرزق مسبب عن المطر والمطر سببه ، فأطلق المسبب الذي هو الرزق وأريد سببه الذي هو المطر للملازمة القوية التي بين السبب والمسبب . . ومعلوم أن البلاغيين ، ومن وافقهم ، يزعمون أن مثل ذلك ، من نوع ما يسمونه المجاز المرسل ، وأن الملازمة بين السبب والمسبب من علاقات المجاز المرسل عندهم .